

هناك دعاة يدعون إلى الديمقراطية السياسية ، ولهم على ذلك حجج وبراهين .

ولكن لعل أعدى أعداء الديمقراطية وأهم طعنة توجه إلى دعاةها ، وأقوى حجة يتسلح بها دعاة الأرستقراطية شيء واحد هو « الرساخة » أو « القذارة » أو ما شئت فسمه . فأكثر تصرفات الأرستقراطيين وأشباههم ، عذرهم فيها طلب النظافة والترفع عن الرساخة .

قد يركب راكب الدرجة الأولى في القطار أو الترام أو السيارات طلباً للوجاهة وخشية أن يراه الناس بين جمهور الفقراء أو نحو ذلك من أعذار كلها سخيفة ، ولكن عذراً واحداً يصح أن يقام له وزن ، وهو رساخة ركاب الدرجة الثالثة والخوف من أذامهم ومن عدوهم .

وقد يتطلب بعض الناس أعلى مطعم وأعلى مقهى حجة في الظهور ورغبة في الجاه ، وطلباً لمخالطة المظاهر ، ولكن المتر الصحيح أنه ينشد النظافة في هذا المطعم وهذا المقهى ، ويفر من قذارة المطاعم الرخيصة والمقاهي الرخيصة .

فلرعى الناس بالنظافة ، وكان من لبس لبس نظيفاً ، ومن فتح مطعماً أو مقهى عنى بنظافته ، وكان الفرق بين لبس النقي والفقير ، والمطعم النقي والفقير ليس فرقا في الكيف ، فالكل نظيف ، وإنما هو فرق في النوع والسك ، لانهارات الأرستقراطية الاجتماعية في كثير من نواحيها ، ولما تقززت أوساط الناس وخيارهم من أن يخالطوا الفقراء في مأكلهم ومشربهم ومركبهم ، ولسلخوا الديمقراطية بسلاح قوى متين ، ولهذا ترى الأمم التي عتيت بالنظافة والتمتها في صغيرها وكبيرها ، وفي فقرها وغناها قد أفسحت الطريق أمام محبي المساواة ودعاة الديمقراطية . وترام وقد قضوا على اختلاف الدرجات في السيارات العامة ، وقل منهم من يركب الدرجة الأولى في القطار ، وقل من يتطلب أنغم مطعم وأعلى مقهى ، علماً منهم بأن الكل نظيف والكل مريح ، وأن الذين يركبون بمجوارهم أو يجلسون بجانبهم لا يؤذونهم بمنظرهم ولا برائحهم ولا

عدو الديمقراطية

للأستاذ أحمد أمين

لندع الديمقراطية السياسية ، فلها نظرياتها ولها رجالها ، ولها نزاعها الحار بين دعاةها وأعدائها .

ولنتكلم في الديمقراطية الاجتماعية وأعدائها — فأكبر مظاهر الديمقراطية الاجتماعية الاشتراك في مرافق الحياة من غير أن تتميز طبقة من طبقة ، فإذا رأيت في القطار درجة أولى وثانية وثالثة فهذا مظهر أرستقراطي ، وإذا رأيت ذلك في عربات الترام والسيارات العامة والسينما والتمثيل فهذا مظهر من مظاهر الأرستقراطية ، وإذا رأيت أحياء يعنى فيها بالسكنس والرش والنور ، وأحياء لا يعنى فيها هذه العناية . فهذا مظهر من مظاهر الأرستقراطية ، وإذا رأيت في المآتم والأفراح كراسي ضخمة مذهبة ، وأخرى عادية ساذجة ، وقوماً يستقبلهم آل البيت وآل العرس بالحفاوة فيجلسونهم في الصدر ، وآخرين يستقبلون في غير حفاوة فيجلسون في الذيل فهذا أيضاً مظهر من مظاهر الأرستقراطية — وإذا رأيت في قاعات المحاضرات أما كن حجرت لكبار الدعوتين ، وأخرى حقاً مشاعاً للدعاه . فهذا كذلك مظهر من مظاهر الأرستقراطية — وإذا رأيت الحجاب على الأبواب يفتحونها لمن نزل من سيارة ، ويقلقونها في وجه ذي الجلباب الأزرق . كذلك نوع من الأرستقراطية . وإذا رأيت مقهى افرنجياً فيه فنجان القهوة بخمسة قروش أو تريد . ومقهى بلدياً فيه فنجان القهوة بخمسة مليات أو تنقص ، فهذا مظهر من مظاهر الأرستقراطية ، ولا أسترسل في ذلك ، فلعلك — يا صاحبي — فهمت مظاهر الأرستقراطية والديمقراطية ، وعلمت أنك في كل خطوة تخطوها ترى هذه المظاهر في أشكالها المختلفة ، وألوانها المتعددة .

وهناك دعاة يدعون إلى هذه الديمقراطية الاجتماعية ، كما أن

بأى شئ، فيهم ، إنما تتميز هذه الطبقات بوضوح وجلاء ، في مرافق الحياة الاجتماعية حيث تنمو الحضارة

إن عقلاء الناس يحتملون الديمقراطية الاجتماعية بل يتعشقونها ، ولكن إذا وصل الأمر إلى احتمال عدوى مرض ، أو آلت أنوفهم رائحة كريهة ، أو آلم عيونهم منظر بغيض ، سهل عليهم بيع الديمقراطية للأرستقراطية .

لوجرى الأمر على المقول لكان المسلم من أنظف الناس في العالم ، فقد ربطت صلواته الخمس بالوضوء ، وفرض عليه الاستحمام في أوقات ، وكان أول باب من أبواب فقهه باب الطهارة .

وأغبط إذ أسمع وصف « ابن سعيد » لمسلمي الأندلس فيقول : « إنهم أشد خلق الله اعتناء بنظافة ما يلبسون وما يفرشون ، وغير ذلك مما يتعلق بهم ، وفيهم من لا يكون عنده إلا ما يقوته يومه فيطويه صائماً ، ويتناع صابوناً يغسل به ثيابه ، ولا يظهر فيها ساعة على حالة تنبو العين عنها » .

ويؤلمني أشد الألم ما ذكره ابن سعيد نفسه ، وقد زار القاهرة ، وركب منها حماراً إلى القسطنطينة يقول « فأتار الحمار من انبار الأسود ما أعشى عيني ، وندس ثيابي ، وعانيت ما كرهت ، وقلت : لقيت بمصر أشد البوار ركوب الحمار وكل النبار

ألم من منظر القسطنطينة ، وقال إنه رأى شوارعها غير مستقيمة ، ورأى حول أبوابها من التراب الأسود والأزبال ما يقبض نفس التنظيف ، ويبض طرف الظريف ، ورأى البياعين يبيعون في مسجد عمرو ، والناس يأكلون فيه ، ورأى في زوايا المسجد المنكبوت ، قد عظم نسجه في السقوف والأركان والحيطان ، ورأى حيطانه مكتوباً عليها بالفحم والحمره بخطوط قبيحة مختلفة من كتابة فقراء العامة الخ . . .

آلمني هذا الوصف لمصر ، ولو زارها اليوم لما عثر بخماره ، ولأثارت له سيارة نفعة من باب زويلة إلى القسطنطينة أرض معبدة ممهدة ، لا تثير غباراً ولا تندس ثياباً ، ولرأى مسجد عمرو نظيفاً ، لا يأكل فيه آكل ، ولا يكتب على حيطانه كاتب .

ولكن هل كان يعدل عن حكمه القاسي في مقارنته بين أهل مصر وأهل الأندلس في النظافة ؟ ذلك ما أشك فيه كل الشك . -

لست أدري لم لم يلتفت اللغات إلى هذا الأمر في الأمة ، فيدعون ويلحون في الدعوة إلى النظافة ، ويضمون الخطط الدقيقة لها ، قائماً خير وسيلة للتقريب بين طبقات الأمة ، فلا يأنف بعد متقف أن يجلس مع غير المثقفين ، ولا متعلم أن يجالس غير

المتعلمين ، وفي هذا الاختلاط نشر للثقافة ، ودعوة للآداب العامة ، وغلبة للعنصر المهندي .

يظن الناس أن النظافة غالية ، وأنها مرتبطة بالثنى ، وهذا خطأ - بين ، فكم من غنى قدر ، ومن فقر نظيف ، والأمر يتوقف على تعويد النظافة أكثر مما يتوقف على المال ، فليست النظافة أن تلبس أغلى

اللباس ، وأن تأكل أغنى الطعام ، وإنما النظافة أن تلبس نظيفاً ولو كان أحقر الثياب ، وأن تأكل نظيفاً ولو كان أحقر الطعام . هذه بديهيات أولية ، ولكننا مع الأسف مضطرون أن نقولها .

لعل الأمر في العلماء والأدباء على نحو ما بينا في الماديات ، فالذي يفرق بين عالم أرستقراطي وعالم ديمقراطي ، وأديب أرستقراطي وأديب ديمقراطي ، هو نظافة آراء الأولين وأفكارهم وأسلوبهم ، وعكس ذلك في الآخرين - ولو التزم كل العلماء والأدباء نظافة نظرياتهم ، ونظافة كتاباتهم مهما اختلفت في النوع والقيمة لانهارت الأرستقراطية العلمية والأدبية أيضاً ، ولكن الكل سواء . م . أحمد أمين

تحرير الرسالة

انضم إلى تحرير الرسالة الأساتذة :

مصطفى صادق الرافعي ، وعبد العزيز البشري
وأبراهيم عبد القادر المنازلي